

استقبال شهر رمضان.. شهر الأحمـل بالبركات



«يا أيُّها النَّاسُ، إنَّه قدُ أُقْبِلَ إليكم شهرٌ أَمَّ»، وكلمة «شهر أَمَّ» توحى بمعنى يجعل الزَّمن هنا زمناً إلهياً يحمل العنوان الإلهي في كلِّ ساعاته وأيامه ولياليه، لأنَّنا نعرف أنَّ الشَّهور كلُّها من عند أَمَّ، فهو الَّذي خلق الزمن وقسَّمه من خلال الطَّاهرة الكونيَّة التي تحدِّد الزمن في مشهوره، كما تحدِّد الزَّمن في أيامه ولياليه: (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ أَمَّ اثْنَتَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ أَمَّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكََ الدِّينُ الْقَيِّمُ) (التَّوْبَةُ / 36). فالشُّهُورُ كلُّها من عند أَمَّ، وهي خلق أَمَّ، ولكنَّ أَمَّ اختصَّ هذا الشَّهر بأنَّ نسبه إليه، على ما جاء في حديث الرسول (ص)، ليقول لنا: أيُّها النَّاسُ، إنَّ عليكم أن تحركوا كلَّ هذا الزمن في آفاق أَمَّ، لتكون ثوانيه ودقائقه وساعاته وأيامه ولياليه انفتاحاً على أَمَّ.

فليكن عقلك عندما تفكِّر عقلاً منفتحاً على أَمَّ في الحقِّ والخير، وعندما تحرك عاطفتك في قلبك، باعتبار أنَّ القلب هو مخزن العاطفة، فإنَّ عليك أن تجعل عاطفتك عاطفةً منسجمةً مع الخطِّ الَّذي يرضاه أَمَّ، بأنَّ تحبُّ في أَمَّ وتبغض في أَمَّ، وأن توالي أولياء أَمَّ وتعادى أعداء أَمَّ، وعندما تتحرَّك،

فلتكن حركتك إلهية سائرة في الخطّ المستقيم الذي يريد الله للناس أن يسيروا عليه، وفي الأجواء الخيرة التي يريد الله للناس أن يتنفّسوها. وفي كل حركة يمكن للإنسان أن يركّز فيها حقاً أو يقيم عدلاً أو يفتح فيها على كل ما للإنسان فيه معرفة واستقامة.

«قد أقبل إليكم شهر الله» محمّلاً بالبركة والرحمة والمغفرة، فهو موقع البركة في أعماركم وأرزاقكم وفي كل طاقاتكم، وهو مخزن الرحمة التي يرحم الله فيها عباده بكل موافعها وآثارها وبكل فيوضاتها. وإذا عرفنا أن وجودنا هو مظهر لرحمة الله، وأن النعم التي يغدقها الله علينا هي مظهر رحمة الله فينا، وأن طاقاتنا التي أودعها الله في كياننا هي مظهر رحمة الله، وأن كل ما يحيط بنا، وكل من يحيط بنا ممّا يتصل بحياتنا ويغنيها، هو مظهر رحمة الله، فكم هي هذه الرحمة الرمضانية التي تختصر رحمة السنة كلها بالبركة والرحمة والمغفرة.

فماذا تنتظر ذنوبنا التي أثقلت ظهورنا وإحساننا ومشاعرنا، وجعلتنا نتحرّك في أجواء الحياء من أن نأثنا عصيانه وهو يغدق علينا نعمه، كما عبّر عن ذلك الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (ع) في دعائه: «تتحبّب إلينا بالذمّ ونُعَارِضُكَ بالذنوب، خيرٌك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال مَلَكٌ كريم يأتيك عنّا في كل يوم يعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا برحمته، وتتفضل علينا باللائك، فسبحانك ما أعظمك وأعظمك وأكرمك مبدئاً ومعيداً!»، قد أقبل إلينا وهو يحمل لنا المغفرة لذنوبنا.